فانني سانشره في الجهات الاربع . وكل من وقف عليه سيستفيد ما استفدته منه وهو الفرار من الانحطاط الى هذا الدرك الاسفل . ومن لا تعاف نفسه هذا الانحطاط فلا يستحق ان يسمى انساناً

٣

وما اتمّ احمد كلامه حتى سمعت قهقهة شديدة . فالتفتُّ فابصرت يوحنا ثالث الثلاثة واقفاً ورائي يضحك من كلام رفيقيه و يستهزئ بهما لانهما على المبادىء القديمة التي ذكراها . ولست ارى من الحكمة ان انشر ما دار بينه و بينهما بعد ذلك من الحديث لانه قال لها اقوالاً واعترض اعتراضات يجب الاعراض عنها . الاّ اذ وجدتُ مناسبة لذلك في مقالة تالية .

فلسطين واشهر بلدانها

(١) لحضرة نجيب افندي نصار في طبريا.

— نابلس —

(هي شكيم التي وقف المسيح على بئر قريب منها وجرى له مع السامرية الحديث المشهور الذي هو اسمى ما في الانجيل)

واقعة بين جبلي عيبال وجرزيم في وادٍ مملوء بالبساتين والاشجار النضرة التي تسقيها مياه ينابيع غزيرة . وتعلو ١٨٧٠ قدماً عن سطح البحر

سكانها عددهم نحو عشرين الف نسمة نحو مائتي سمرة والف مسيحيين اكثرهم روم ارثوذكس والباقون مسلمون . وكثيراً ما كان يُنسب لهم التعصب والتعدي حتى قال بعض كتبة الافرنج ان السياح كانوا يخافون المرور بنابلس فكانوا يسافرون من اليهودية الى الجليل بطريق يافا . غير اننا زرنا المدينة مراراً عديدة فعرفنا من اهلها انهم شديدو الاستمساك بدينهم و بصورة عمومية كرماء الاخلاق يدافعون عن الغريب . ومن

---

(١) هذه تتمة تاريخ وجغرافية فلسطين اللذين نشرهما في السنة الرابعة من المجامعة حضرة الكاتب بعد ان ساح بنفسه في تلك الانحاء سياحات طويلة

مزاياهم الحميدة منع بيع الخمرة وعدم تعاطيها في بلدهم ولذلك لم يسر سمها فيه سريانه في باقي المدن السورية

والمدينة مركز متصرفية تابعة لولاية بيروت وفيها عدة جوامع فسيحة اصل بعضها كنائس مسيحية شرقية وغربية وربما كانت هذه الكنائس مجامع للسمرة . وفيها ايضاً مكاتب عثمانية ومدارس خارجية للطوائف المسيحية وديران للروم واللاتين ومستشفى خيري لبعثة انكليزية

﴿ تاريخها ﴾ اسمها السامي (شكيم) نسبة الى شكيم ابن حامور وفيها معامل كبرى للصابون الذي يرسل الى كل البلاد العثمانية والديار المصرية وهو مشهور بجودته

وكتبة العبرانيين دعوها ماموراثا Mamoratha (المر) لانها واقعة او بالحري كانت واقعة في المعبر الضيق بين الجبلين المذكورين . الى جوارها عاد يعقوب من فدان ارام واشترى لنفسه ملكاً واقام هناك حتى دنس شكيم ابن حامور ابنته فرحل عنها الى حبرون ولكنه بقي يرسل مواشيه لترعى بجوارها . ولما قسمت الارض بين الاسباط بالقرعة وقعت في نصيب افرايم ابن يوسف ولكنها ما لبثت ان صارت مدينة ملجأ (يشوع ٢٠ : ٧) وفيها جرت المؤامرة بين ابيمالك ابن جارية جدعون واهل شكيم على قتل ابناء جدعون السبعين وتمليك ابي مالك عليهم (قضاة ٩) وفي سنة ٩٧٥ قبل المسيح في ايام الملك رحبعام ابن سليمان انشقت عنه العشرة اسباط وملكوا يربعام خادم سليمان فبنى هذا شكيم وجعلها قاعدة مملكته (ملوك اول ١٢) وبقيت كذلك مدة تنوف عن الخمسين سنة وصارت بعد السبي قاعدة السامريين . وقد حاربتها جنود فسباسيانوس واخضعتها وسماها الرومانيون منذ ذلك الوقت فلافيا نيابوليس Flavia Napolis اكراماً لطيطس فلافيوس فسباسيانوس وهي من المدن القليلة التي بقي اسمها الروماني متغلباً على الاسم السامي القديم . وقد بشر الرسل فيها بالديانة المسيحية فانتشرت فيها حتى صارت كرسي اسقفية منذ بداءة القرن الرابع . ويظهر من وصف يوسيبيوس لها في ذلك الزمن انها كانت كبيرة جداً الا ان القسم الشرقي منها الذي كان ممتداً نحو بئر يعقوب كان خراباً

ولما امتدت الفتوحات الاسلامية دخلت نابلس في ايدي الفاتحين وبقيت الى ان اخذها تنكريد احد قادة الصليبيين . وفي سنة ١١٨٤ نهبها السلطان صلاح الدين في عودته من الكرك خاسراً وتغلبت جيوشه عليها بعد واقعة حطين الشهيرة وقتلوا جمعاً غفيراً من اهلها . وفي سنة ١٢٤٢ عاد المسيحيون فاستولوا عليها لمدة سنتين واسترجعها منهم بعد

ذلك ابو علي حليف السلطان بيبار . ويظهر انها بقيت تحت سلطة المسلمين منذ ذلك الوقت وكان باشاوات الشام وعكا في المدة الاخيرة يولون عليها وعلى المقاطعة عمالاً من رؤساء عشائرها الذين اشتهروا بحب الرئاسة والقتال

= جبل عيبال =

يقابل نابلس من الجهة الشمالية وعلوه ثلاثة آلاف ومائة قدم . ويدعى (الاسلامية او الشمالي) وفي سفحه كثير من الصبر الذي يزكو ثمره للغاية وله منظر الى بعيد فيحيط بجبال الجليل والكرمل والطور ومرج ابن عامر وجبال حوران و بلاد صفد حتى جبل حرمون . وعليه بنى الاسرائيليون مذبحاً ونقشوا كلمات الناموس وذبحوا ذبائح سلامة ووقف ست اسباط منهم ليلعنوا كل من يخالف الشريعة كما وقفت الستة الاسباط الأُخر على جرزيم لتبارك من يحفظها ويتبع سنتها (تثنية ٢٧ ويشوع ٨ : ٣١) وعلى قمته خرابات قلعة كثيفة البناء ومقام لاحد اولياء المسلمين يقولون ان جمجمة يوحنا الذي قطع هيرودس راسه مدفونة في داخله

= طلوزه =

على التل الواقع الى الشمال من عيبال ويستدل من اسمها على انها ترصة التي كانت لمدة قصيرة عاصمة مملكة اسرائيل (ملوك اول ١٦ : ٨)

= جبل جرزيم =

جبل السامريين المشهور

ويدعى الطور والقبلي ايضاً علوه ٢٨٨٤ قدماً ويشرف على جبال جلعاد واليهودية وحرمون والكرمل والبحر المتوسط . وعلى سطحه بقايا قلعة مربعة محصنة بالابراج وكثافة جدرانها تختلف من خمس الى عشر اقدام . ويستدل من شكل بنائها انها هي نفس القلعة التي بناها الامبراطور زينو الذي قام في القرن الخامس وهي التي وضع فيها الحامية لحماية كنيسة العذراء التي بناها ايضاً من تعديات السمرة الذين كانوا شديدي الغيرة على جبلهم . اما الكنيسة فقد كانت مثمنة الشكل ولم يبقَ منها سوى الأُسس

وفي الجهة الشمالية الشرقية مقام الشيخ غانم احد اولياء المسلمين . وفي سطح الجبل عدة خرابات أُخر تدل على انه كان مأهولاً يوماً ما . بينها بضع حجارة كبيرة الحجم يعتقد

السمرة انها حجارة المذبح الذي بناه يشوع بامر موسى على جبل عيبال . ويدلون على النقطة التي يزعمون ان ابرهيم أمّها ليقدم ابنه اسحق ذبيحة عليها في جهة سطح الجبل الجنوبية الشرقية

وقد جُعل لهذا الجبل اهمية خصوصية في التاريخ الديني منذ عودة الاسرائيليين من السبي في نهاية القرن السادس قبل المسيح وعدم رضاهم بمشاركة السمرة لهم في تجديد بناء هيكل اورشليم الثاني اذ استاء السامريون من ذلك الرفض وعدّوه اهانة فقدسوا جبل جرزيم واتخذوه مركزًا لعبادتهم . واذ تزوج منسى احد رؤساء كهنة اليهود بابنة رجل سامري يدعى سنبلط كان وزيرًا للملك داريوس أنكر عليه اليهود ذلك الزواج المخالف لشريعتهم وخلعوه من رئاسة الكهنوت فاراد طلاق الاجنبية لولا ان اباها وعده ببناء هيكل على جرزيم متى تمت الغلبة لداريوس على اسكندر الكبير . فلما انطفأ نور الامل بفوز اسكندر قصده سنبلط واشار عليه بوجوب تفريق كلمة اليهود ببناء هيكل على جرزيم يباري هيكل اورشليم وتقليد منسى الذي كان يعضده حزب من اليهود رئاسة الكهنوت فيه . فوافق اسكندر على ذلك وامر ببناء ذلك الهيكل فبني وصار السمرة يكرمونه اكرام اليهود لهيكلهم في القدس . وبقي عامرًا مائتي سنة حتى خربه هركانوس ابن سمعان المكابي . ولم نعثر اثناء ابحاثنا على ما يشير الى اعادة بنائه غير ان السمرة لم ينقطعوا حتى اليوم عن احترام الجبل وعن تأدية فرائضهم الدينية عليه حالة كون اليهود لم يعودوا يؤدون فرائض الهيكل الدينية منذ خراب هيكلهم في الحرب الطيطسية . ولمناسبة ذكر السامرة وجرزيم نذكر شيئًا عن تاريخ السمرة واعتقادهم لتكمل الفائدة